العقل والقلب والدين

كانت العرب تطلق لفظ القلب على قوة الشعور ووجدان اللذة والألم وقوة الفكر والعقل الذي يميز المرء به بين النافع والضار لان قلب الشيء عندها لبه ومحضه وخالصه ومن الأول قوله تعالى (٣:١٥٩ ولو كنت فظا غليظ القلب) ومن الثاني (٥٠:٣٧ ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب) وقوله (٢٢:٤٦ فتكون لهم قلوب يعقلون بها) وقد جرى عرف بعض الأمم على إطلاق لفظ القلب على المعنى الأول خاصة وجعلوا سلطانه على الأمور الادبية، واكتفوا بالتعبير عن الثاني بلفظ العقل وجعلوا سلطانه في الأمور العلمية، وهو اصطلاح لا تأباه لغتنا التي تجيز تخصيص اللفظ بأحد معانيه وهو ما نجري عليه في هذه المقالة . ثم ان أهل هذا الاصطلاح جعلوا الدين من قبيل الأول حتى صاروا يقابلون العلم بالدين كما يقابلون بين العقل والقلب وذهب الكثيرون الى ان هذه المقابلة مقابلة تضاد فجعلوا العقل خصيما للقلب والعلم عدوا للدين . ورأى آخرون منهم أنها مقابلة تباين فجعلوا للقلب حكمه وللعقل حكمه ومنعوا ان يعدو أحدهما طوره ويحكم غيره

حجة القائلين بالتضاد أن القلب موضع الشعور الوهمي الذي لا حقيقة له فهو يخاف مما لا يُخاف أولا يخيف ويرجو ما لا يرجى ويقتحم به الوجدان مواقع الهلكة فيبذل النفس والنفيس فيما لا فائدة فيه فهو سلطان أخرق جائر لا يدين له الا النساء والاطفال ، ومن ضعف عقله من الرجال ، وأعوانه رجال الدين الذين عرفوا في كل زمان ومكان بإقامة هيا كل الوهم ، ومعاداة العقل والعلم ، وجعل وجدان الدين ، آلة القهر في أيدي الرؤساء المستبدين ، فاذا كان الشعور بأن في الكون سلطة غيبية ، يجب لها الخضوع والعبودية ، هو أعلى وجدان القلب وأنفذه حكما على الجوارح ، واذا كان سائر أنواع شعوره ووجدانه كالخوف والرجاء والبغض والحب والقسوة والرحمة تخدم هذا الوجدان وتؤيده ، واذا كانت تلك السلطة العليا قد تمثلت للوهم الانساني في الجماد وقوى الطبيعة وفي الحيوان فعبدها الانسان ثم تمثلت له في افراد منه فعبدهم وعدّ نفسه قد ارتقى بذلك ارتقاء

مبيناً، واذا كان العقل قد كشف لقوم بطلان الوهم في أكثر تلك المظاهر للسلطة الغيبية ولآخرين بطلانه في جميعها حتى صار المرتقون من البشر فريقين فريقاً لا يزال ينقاد لذلك الوجدان ولكنه ينزهه عن التقيد بأي مظهر من مظاهر الطبيعة و يفند أكثر ما وصفته الاديان به وفريقا يحكم بأن ذلك الوجدان وهم لا حقيقة له، واذا كان هؤلاء المرتقون أقرب الناس من السعادة في معيشتهم ومن النفع للناس وأبعدهم عن الشقاء الذي تثيره الأوهام التعبدية، وتمده سائر الوجدانات الدينية، واذا كان الحس الظاهر الذي هو أقوى من وجدان القلب وفكر العقل يخذل الأول بما ظهر من مخالفة كثير من النصوص الدينية للأمور المحسوسة و ينصر الثاني ويؤيده — أفلا يكون القلب والعقل ضدين في ذاتهما وفي أثرهما في الناس و يكون من الصواب ان نجعل العقل هو الحاكم والقلب هو المحكوم وأن نؤدب الوجدان بسوط الفكر والبرهان، وندع لحكم العقل والحس جميع أحكام الاديان؛؟

وأما حجة الذاهبين الى أن لكل من القلب والعقل سلطانا مستقلا يباين الآخر ولا يناقضه وأنه يجب أن لا يعدو واحد منهما طوره و يخرج عن حدوده فهي أنه لا ينكر عاقل ان الوجدان أمر وجودي ثابت متحقق في نفسه كما أن الفكر أمر وجودي ثابت متحقق في نفسه وأن لكل واحد منهما أثرا منه الضار والنافع وأحكاما منها الخطأ ومنها الصواب وأن الانسان في حاجة الى كل واحد منهما فلم يخلق له أحدهما عبثا وانه لا بد لكل منهما من قانون تعليمي تكون الغاية جعل أحكامه وآثاره نافعة للانسان وأن قانون القلب هو الدين الذي يوجه جميع عوامل شعوره ووجدانه الى الخير والفضيلة و يصرفها عن الشر والرذيلة وقانون العقل هو العلم بالأكوان الذي يجلي للانسان حقائقها ويمكنه من الانتفاع بها فاذا كان خطأ العقل في بعض المسائل لا يقضي ببطلان الثقة به ولا يقتضي إزالة سلطانه وعدم الثقة بسائر أحكامه فكذلك نقول في خطأ القلب واذا بحثنا في تاريخ الانسان نرى أن علماء القلوب الذين جاؤا بقوانين الأديان كانوا أنفع للبشر من علماء الكون الذين وضعوا قوانين العلوم المادية والنظرية فلو فرضنا أن الانسان يستغني بأحد الفريقين عن الآخر لكان يجب أن يستغني عن الفلاسفة

وعلماء المادة دون النبيين والمرسلين لأنه قد يكتفي في حياته المادية بتجاربه التي يسوقه اليها الاحساس الفطري عن توسيع دائرة البحث في الجماد والنبات والحيوان وتكثير الصنائع التي يشقى بها الملايين من الناس ليسعد المئات والألوف بشقائهم ولكنه لا يكتفي قط بترك حبل شعوره ووجدانه على غاربه فان حكم وجدان اللذة والألم أقوى على النفس من كل حكم وهو عرضة للبغي والعدوان اذا لم يكن له مؤدب من جنسه يضع له حدودا لا يتعداها . وهذا المؤدب هو وجدان الدين

لا ينكر علينا علماء المادة أنه لا يوجد في الخليقة شيء من العبث وأن كل شيء خلق كاملا أو كمل بعمل الطبيعة فيه الا الانسان فانه خلق أشد الكائنات المعروفة نقصا وأشدها استعدادا للكمال وأن كماله يكون بعلمه وكسبه وان كل قوة من قواه الحسية والمعنوية والنفسية والجسدية التي فطر عليها هي آلة من آلات استعداده للكمال بكسبه التدريجي فقوة العقل التي أودعت في الانسان لاجل التمييز بين المعقولات الصحيحة والباطلة ووجدان الدين العام وهو الشعور بالسلطة الغيبية الذي أودع في الفطرة لاجل تأديب سائر الوجدانات بما يزعها عن الشر ويصرفها الى الخير كل منهما قد وجد ملكة تظهر أثرها في ارتقاء البشر بالتدريج كما هي السنة في جميع قواهم وآثارها . فقول الماديين بالنشوء والارتقاء ظاهر في شؤونهم الدينية والمدنية أو القلبية والعقلية فلماذا نعد خطأ البشر في استعمال الوجدان الديني في أطوار الانحطاط موجبا للقول ببطلان هذا الوجدان وضرره والحكم باعفاء أثره ولا نعد خطأ العقل في تلك الاطوار موجبا للحكم ببطلان أحكامه وازالة سلطانه

تقولون ان رجال الدين قد عاثوا بسلطتهم الدينية فسادا في الدين وخادعوا الناس بالاوهام حتى استعبدوهم ونقول انا نرى في كل من رجال الدين ورجال العلم المفسد والمصلح فكم من عالم ببعض خواص الاشياء الطبيعية قد غش الناس بعلمه وكم من مدع للعلم بها قد أضرهم بجهله وهذه العلوم المادية في هذا العصر الذي هو أرقى عصورها قد اتخذت آلات لاهلاك العباد وتدمير البلاد وما السحر الذي تعترفون بأنه من أشد الامور افسادا لعقول البشر وضررا في مجتمعهم الا من خداع العلم فان كان قد استفاد منه كهنة الوثنية فقد أبطله جميع الانبياء وكان

أقوى الشبه للضعفاء على نبوتهم فهو ضد الدين

ويقول أهل هذا المذهب لخصمهم من الماديين انا نعلم ان أقوى شبهكم على الدين أمران (أحدهما) ماجاء في كتب الوحي مما قام الدليل الحسي أو العقلي على خلافه كاثبات التوراة ان الله حكم على المية بأن تأكل التراب كل أيام حياتها واثبات العهد الجديد للتثليث . (وثانيهما) ما فيه من الاخبار الغيبية التي لادليل عليها كوجود الملائكة والشياطين والمخرج منهما سهل . اما الأول فاذا لم تسلموا بتأويل علماء الدين لهذه المشكلات وجزمهم بأن الخطأ واقع فلنا ان نقول إن بعض مافي تلك الكتب مدرج من النساخ وان ماقاله الأنبياء في أمور الدنيا لم يقصدوا به بيان حقائق الموجودات وانما قصدوا استخراج العبرة والموعظة وتمثيلها للناس بحسب ماعرفوا من الكون وان كانت معرفتهم ناقصة أو مخالفة للحقيقة ولو ارادوا ان يبينوا حقائق الاكوان مع اصلاح النفوس بقضايا الأديان لما تيسر لهم ذلك ولكان تصديهم له خروجا عن حدود وظيفتهم المتعلقة بالقلوب والارواح واثارة للشبه والشكوك فيها فان المسائل الحسية والوجودية تعرف بالنظر والتجربة والاختبار لا بالتبليغ عن الخالق . ذلك ان الانسان مستعد بفطرته الارتقاء الحسي والعقلي بدون تأييده بالوحي واما الارتقاء القلبي أو الوجداني فهو محتاج فيه الى الوحي لأن منه ما يتعلق بالسلطة العليا المدبرة لجميع الكائنات وما يتعلق بحياة بعد هذه الحياة وهذان الشعوران لم يودعا في نفس الانسان سدى كما تقدم بل هما المبدء لغاية كما له الروحاني والوسيلة لتهذيب جميع أنواع وجدانه وشعوره وبذلك تحسن أعماله وتصلح أحواله فيكون سعيدا بقدر تمسكه به . وخلاصة هذا الجواب ان وظيفة الوحي اصلاح القلوب والاخلاق فما يذكر فيه من أمور العالم يراعى فيه معارف المخاطبين ولا يقصد لذاته فلا يضر الخطأ فيه عندهم

وأما الثاني وهو إخبار الوحي بما لادليل عليه من الحس ولا من العقل فالمخرج منه أن هذا لا يقال إلا إذا كان علم الانبياء الخاص بهم مستمدا من الحس والعقل ولكنه وحي من الله فاذا كان لكم طريق الى الحكم في كلامهم المتعلق بالمادة المحسوسة فلا طريق لكم الى الحكم في كلامهم المتعلق بالايمان بالله وبعالم الغيب

لأنه ليس من المادة ولا مما يجري على سننها ، ولا المتعلق بالعبادة والحث على الفضائل وبالتنفير عن المعاصي والرذائل لانه من باب الإنشا الذي لا يتأتى فيه الصدق والكذب وانما يعرف حسن مثله وقبيحه بأثره وقد ثبت بالتجربة أن البشر يكونون على خير وصلاح بقدر تمسكهم به وعلى شر وفساد بقدر اعراضهم عنه ومما يدل على أنهم يستمدون هذه الانواع من العرفان من خالق الكون ومدبره أن علماء الحس والعقل يعجزون على استمداد بعضهم من بعض عن اصلاح نفوس البشر وصرف شعورهم ووجدانهم الى الخير من غير استعانة بشيء مما جاء به الانبياء الذين لا يمكن اقامة برهان على أنهم استمدوا عرفانهم من الناس . وهب انهم استفادوا شيئا من عرفانهم بالكسب والنظر فما تقول في تلك الآيات وذلك السلطان الذي أعطوه على الأرواح ؟ يقول كثير من علماء المادة ، وادباء الملاحدة ، اننا نقدر على كتابة في الآداب والوعظ لا تعد هذه الأناجيل في جانبها شيئا مذكورا وقالوا ان في مواعظ الانجيل من السلطان على الأرواح ما يعجز اكبر الفلاسفة عن عشر معشار تأثيره في حكمه وفلسفته

هذا ملخص ما يذهب اليه كثير من علماء الافرنج وفلاسفتهم في وظائف العقل والقلب فهم يوجبون صرف العقل والحواس التي هي آلاته الى العلوم الكونية وصرف القلب وشعوره الى الامور الدينية ولا يجيزون لاحدها أن يتحكم في الآخر فاذا ظهر لهما أن في العلم أو التاريخ ما يخالف بعض مسائل ذكرت في كتب الدين أو في الدين مسائل تعارض شيئا من العلم أو التاريخ فانهم لا يرون ذلك مجوّزا لابطال أحدها للآخر أو مسوّغا لتركه لأن صلاح البشر متوقف على صرف كل من العقل والقلب الى ما هو مستعد له لم يوجد واحد منهما عبثا ولا يترك سدى . وبهذا الرأي كان كثير من اساطينهم متدينا كبسمارك أشهر زعماء السياسة وعلماء الاجتماع وباستور من كبار علماء المادة والحياة وتولستوي من عظماء الفلاسفة في العقليات والادبيات . ويعترف هؤلاء العلماء ان في دينهم كثيرا من المسائل التي تخالف العقل والعلم والتاريخ وان في كتبها ما هو بشري غير موحى به من الله ويقولون إن هذا نقص في بنية الدين وجسمه لا في جوهره وروحه فهو يغفر ويتسامح به

لشدة الحاجة الى روح الدين التي لاغنى للبشر عنها

ونجد في هؤلاء العظماء المتحمس في الدين الملتهب غيرة عليه كعظيم الشعوب الجرمانية (غليوم الثاني) الذي قال انه لولا الوحي الديني الروحاني لقضي على النوع البشري وقال في المسيح انه يملؤنا حماسة واننا لنشعر بناره تأجج في أحشائنا وقال ان الاعتقاد بأن التوراة ربما كانت مأخوذة من شرائع حمورابي لا يمنع من الاعتقاد بوحي الله لموسى وظهوره لبني اسرائيل بواسطته يعني ان استفادة موسى من معارف البشر ووقوع بعض الخطأ العلمي والتاريخي في كتابه لا ينافي الايمان بانه كان مؤيدا بروح الله ومظهراً لعنايته وعظمته ولا كون كتابه أعظم صلة بين البشر وبين الله كما نطق به العاهل العظيم في كلمة أخرى فهو يكتفي بأن يكون النبي الموحى اليه مؤيدا من الله بما يتمكن به من هداية الناس وتوجيههم الى عبادة الله تعالى ولا يشترط ان يكون كل ما يقوله موحى به من الله وكل ما يفعله مؤيدا به من الله

ان أصحاب هذا المذهب على اعتقادهم في الوحي والانبياء مما لا يرضاه المسلمون بل ولا عامة المعتقدين بالنصرانية هم اسلم فطرة واهدى قلبا وأكمل عقلا من عبيد المادة واسرى الحواس الذين زعموا ان الدين من شعور القلب ووجدانه الوهمي وأنه يجب على الانسان ان ينسلخ من كل وجدان ، ويعيش حسيا كسائر أنواع الحيوان ، استحوذ عليهم حب الشهوات الحسية فانصرفوا اليها واسرفوا فيها ، وما أحبوا الانسلاخ من المزايا الانسانية والهداية الدينية الا لانها تنعى عليهم اسرافهم فيها وتطالبهم بما هو أرقى منها ، وقد كثر في متفرنجي المسلمين من يقلدهم فيها ، وان لاولئك المتبوعين من علماء الافرنج من العذر ما ليس لهؤلاء الأتباع المقلدين لهم على غير هدى لان في الدين الذي نشأ بين أهله أولئك المتبوعون من عداوة العقل والحس وعلومها ما ليس في دين هؤلاء ولان أولئك قد أوغلوا في العلوم الكونية فشغلتهم عن غيرها كعلوم القلب والروح فلم يعرفوا حقيقته على أنهم استبدوا لأحقر وجدان القلب وهو اللذة الحسية وهؤلاء لم يتقنوا علما ولم يحسنوا عملا بل نزلوا على حكم قول الشاعر

عمي القلوب عموا عن كل فائدة ... لانهم كفروا بالله تقليدا

**

هذا وان للمسلمين في العقل والقلب والدين منزعا آخر وهاك بيانه: يسعد الانسان بعمله ويشقى بعمله وعمله تابع لدعوة وجدانه وفكره يتفقان فيمضي فيه ويختلفان فيجيب دعوة أقواهما سلطانا على النفس وتسخيرا للحس، والوجدان هو السلطان القاهر والحاكم المطاع وما الفكر الا وزير يستشار فيدهن للوجدان تارة وينصح له تارة فأكثر الناس يعملون بدعوة شعورهم ووجدانهم لا يعارضهم في ذلك فكر ولا رأي لان أفكارهم مسخرة مستعبدة لشعورهم ومنهم من يعارض فكره شعوره في بعض ما يدعوا اليه فيطيعه تارة ويعصيه أخرى — يطيعه اذا كانت داعية الوجدان ضعيفة ويعصيه اذا كانت قوية

اذا كان كل من الوجدان والفكر مدعاة للعمل الذي به يسعد الانسان ويشقى وكان قد يقع التنازع بينهما وكان لكل منهما شرّة وفترة يطغى في شرته فيسرف، ويتراخى في فترته فيُغفل، فلا جرم أنهما في حاجة الى مرشد حكيم ذي سلطان مكين، مطاع ثمّ أمين، يرضيان بحكومته، ويقفان عند نصيحته، معها ظهرت لها آيته، ورفعت فوقهما رايته، وما أراك الا قد عرفت أن هذا المرشد هو الدين وان ظهور آيته للنفس يؤتيها الاذعان، الذي يحيط بالفكر والوجدان، فتخضع له في عامة شؤونها طوعا، وتطيعه بالاختيار سرا وجهرا، وان ارتفاع رايته يمثل لها القوة والسلطان، مؤدبا لاهل البغي والعدوان، الذين يشذون عن حكم الاذعان، وبذلك يكون الاعتدال، واستعداد الانسان للكمال، فالدين هو الاستاذ المؤدب للوجدان والفكر معا

الوجدان حق وقد يطغى فيعرض له الوهم، والعقل حق وقد يعرض فيعرض له الجهل، والحواس الظاهرة حق وقد تضلل فتدرك الشيء على غير حقيقته بل كثيرا ما تخطئ وهي صحيحة سليمة. ولا غنى للنفس عن الوجدان كما لا غنى لها عن العقل والحواس الظاهرة بل أقول انه لا خطأ ولا غلط في الوجدان الصحيح أو في حكم القلب لذاته وانما يعرض له الوهم من الفكر الذي هو حكم العقل أو من خطأ الحس الذي هو حكم المشاعر الظاهرة وكل من العقل والمشاعر الظاهرة يخطئ فيجني بخطئه على القلب وينحرف بالوجدان عن القصد

القلب يحب الجمال الحسي والجمال المعنوي وهو المباه والشرف ويبغض القبيح الحسي والمعنوي — يتلذذ بنيل ما يحب وبرجاء نيله ويتألم بما يكره — يحزن لوقوعه ويخاف ما يتوقع منه ، فاذا رجا مالا يرجى أو خاف مالا يخاف أو أحب مالا يحب أو كره مالا يكره فانما يكون في ذلك تابعا لحكم غيره اذ ليس من شأنه هو ان يحكم بأن هذا جميل أو قبيح أو ضار أو نافع وانما الحس هو الذي يحكم في الجمال والقبح الحسيين والعقل هو الذي يحكم في الجمال والقبح المعنويين . ومها جزم العقل بأن هذا الشيء يرجى خيره ، وذلك الشيء مما يخشى ضيره ، قبل القلب حكمه ، وسخر الجوارح للعمل بتصديه ، وقلما يطغى الوجدان في شيء الا ويكون الفكر هو المبدء له في طغيانه فكلما أوغل العقل في التصور والتفكر ، يوغل القلب في الانفعال والتأثر ، فالذنب للعقل والفكر في طغيان وجدان القلب وتصعفه في مجاهيل الاوهام

لو فقد الانسان الوجدان فأمسى لا يحب ولا يكره ولا يخاف ولا يرجو ولا يرحم ولا يقسو لهلك بترك العمل والسعي في جلب المحبوب ودفع المكروه واتقاء الخطر ، وانتظار الظفر ، ومواساة البائسين ، ومؤاخذة المجرمين ، ولم تكن تصورات العقل وأقيسة الفكر لتغني عنه شيئا . فاذا كان ادراك الوجدان في نفسه حقا وكان لابد منه لبقاء الانسان وكان العقل مرشدا يخطئ ويصيب فينصح بعلم أو يغش بجهل فهل يصح أن يقال انهما ضدان ، أو نطلب على حقية الأول منهما البرهان ، كيف وهو أقوى الضروريات ، التي هي مقدمات البرهان اليقينيات ،

على هذه الطريقة أساء العقل التصرف في وجدان مبدإ الدين في الانسان فقد امتاز الانسان على سائر الحيوان بوجدان كان هو الاصل في ارتقائه التدريجي بحسب استعداده وهو الشعور بأن في الوجود سلطة غيبية متصرفة في العالم . هذا هو مبدأ الدين في البشر وقد كان العقل في طفوليته يبحث عن علل الاشياء وأسبابها فكلما عجز عن ادراك شيء منها حكم بأنه هو صاحب تلك السلطة وتبعه الوجدان في الاذعان له والعبادة وكان اذا ما ارتقى العقل في شعب من الشعوب أي استعد أفراده منه للارتقاء عن التعبد للاشياء المحدثة بعث الله تعالى فيهم من يدعو العقل الى أعلى مقام في العرفان ، ليتبعه القلب في العبادة والاذعان ، يدعوه الى التوحيد الذي هو

عبارة عن الجزم بأن كل ما يدركه الحس ويتصرف فيه الفكر فهو من المحدثات التي تديرها تلك السلطة الغيبية العليا المطلقة التي لا تتقيد بشيء ولا تحل فيه ليعلم العقل ان تصديقه لعلم حقيقة مصدر تلك السلطة التي يجدها القلب كما تدرك الحواس المحسوسات ضرب من المحال ولذلك سميت إلها لأن العقل يوله وينحير في البحث عن حقيقتها فلسان أولئك الدعاة الكرام عليهم الصلاة والسلام يقول للعقل الصحيح انك تجد في القلب حبا وكرها ورجاء وخوفا فلا تبحث عن حقيقة هذه الوجدانات ولا تحاول الاستدلال عليها لأنها قطعية في نفسها وانما وظيفتك إرشاد القلب الى الاحسان في استخدام الجوارح لها فأولى لك ثم أولى أن لا تبحث عن حقيقة وجدان الدين وكنهه فضلا عن مصدره وانما عليك أن تستعين به على تدبير مملكة القلب ، على انه لا يمنعك الاستدلال على مصدر تلك السلطة الراسخة في الوجدان لحكمة امتاز بها الانسان ، وانما ندعوك الى النظر في وحدة نظام الأكوان ، والتأمل فيما أودعته من الحكمة والاتقان ، لتوقن أنها لم تكن كذلك الا لوحدة مصدرها ، وعموم سلطان مدبرها ، فتجله عن الظهور في حجر أو شجر أو حيوان ، وعن الحلول في كوكب أو انسان ، والى هذا الارتقاء الديني الاشارة بقوله تعالى (٢ : ٢١٣ كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين) الخ وبه ارتقى العلم نفسه

ألم تر ان العلم كان يسير مع الدين ، والتهذيب كان محصورا في الكهنة والأحبار والقسيسين ، نعم ان هؤلاء الزعماء للدين كانوا يقودون الشعوب بوجدانها ويحظرون على عقولها حرية التصرف ولهم العذر في هذه السياسة لو لم يسرفوا فيها فانه لم يكن لضبط شؤون العامة من سبيل الا وجدان الدين مع ان فكر الاكثرين لم يرتق الى الاستعداد للاستقلال التام والاستغناء عن سيطرة الرؤساء فلما استعد لذلك آتاه الله الدين الاخير الذي هو منتهى النشوء والارتقاء وهو الاسلام الذي وفق بين الحس والوجدان والفكر وآخى بين العقل والقلب فكان هو الهداية التي تم بها الاستقلال ، واستعد بها البشر لنهاية الكمال ،

كان زعماء الدين قد أساؤا التصرف في وجدانات القلب فساموها الافراط والتفريط وشددوا الحجر على العقل فلم يجعلوا له رأيا في آداب النفس ولا في

فهم العبادة بل ولا في مصالح المعاش ففصلوا بين القلب والعقل وجعلوا العلم عدواً للدين وأقاموا أنفسهم مسيطرين على كل شيء ومكنهم الدين من ذلك ببنائه على أساس التقليد . فلما جاء الاسلام كان من أول عمله نسف هـذا الاساس وإبطال تلك الزعامة حتى أنه لم يجعل للنبي نفسه شيئاً منها (٣ : ١٢٨ ليس لك من الامر شيء ٠ -- ٨٨ : ٢١ فذكر انما أنت مذكر ٢٢ لست عليهم بمسيطر) حتى كان يرجع عن رأيه الى رأي أصحابه ثم انه بين العقائد بالبراهين العقلية ، وقرن الآداب والاخلاق بذكر فوائدها الروحية والجسدية ، وعلل الاحكام بالمصالح والمنافع الاجتماعية ، وأمر بالعـلم الكوني وجعله أقوى دعائم اليقين ، وأرشد الى سنن الكون والاجتماع وجعلها معراج الرقي في الدنيا والدين ، فجعل الحواس والقلب والعقل شركاء في هدايته وارشاده ، لتكون جميع قوى الانسان متحدة في إبلاغه غاية كماله ، وكان كتابه حجة عقلية على حقيته بما فيه من أرقى العلوم والعرفان ، واعظم السلطان عـلى العقل والوجدان ، مع عصمته من الاختلاف والتناقض ، وحفظه من التغيير والضياع ، وغير ذلك مما لا محل لشرحه هنا . أفيليق بمن عرف هذا الدين ان يقول فيه بنقيض ما جاء به اتباعا لمن فرقوا بين عقل المرء وقلبه ، و بين علمه بالكون وعلمه بنفسه وبربه ، أم يليق به ان يترك هداية هذا الدين ، ويتبع وسوسة الماديين ،

كلا ان من عرف هذا الدين لا يمكن ان يتركه ولكن الذين ضلوا وأضلوا عن هدي القرآن المجيد بما وضعوا في أعناق المسلمين من وهق التقليد ، قد حجبوهم عن محاسن هذا الدين ، وابرزوا لهـم في مكانها جميع مساوي المتقدمين ، فصـدق عليهم حديث الصحيحين « لتركبن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه » فهم الملة الكفر من كفر ، وفجور من فجر ، فعسى ان يهيء الله للمسلمين من أهل الاصلاح من يخرجهم من جحر الضب الذي دخلوه ، ويعيد اليهم هدي القرآن الذي تركوه ، أو يهدي غيرهم الى هذه الحقيقة ، ويقيمهم على هذه الطريقة ، فيتآخى بهم العلم والدين ، ويكونون هم الائمة الوارثين ، وان ذلك لواقع ولو بعد حين ، والعاقبة للمتقين .

(تصحيح) في س ٢٠ ص ١٩٢ « تمتدل » وصوابه (تمتثل) فليصحح